



**الأمثال السائرة عند الخوارزمي
في كتابه التخمير
دراسة لغوية نحوية**

إعداد

د. هشام فالج حامد

كلية الآداب / جامعة سوران

Dr. hisham falih hamid

hisham1979@yahoo.com



Research Summary

Was full of written Arabic grammar over time the witness grammar on various kinds, the Qur'an, and the Prophet, and the statements of Arab poetry and prose, and it was this witness first Ssandem to prove the validity of grammatical rules and morphological, which Rsduha in their books, but the difference was evident between the grammarians in their preference for the type of witness , Quranic and newborn and poetic. Who provide witness to the witness, and excel in revenue Hoahidhm. As these parables are a historical document for the Arab oral literature to the content of these sayings of the word and sedate meaning and beauty of the context of accuracy. Grammatical structure, such as the Arab and represents one of the cultural and intellectual foundations that can be reassuring to in documenting the rules of Arabic grammar because it: (keeping the original as more than any kind of linguistic styles, please enter something of a change or modification

الملخص:

حفلت كتب النحو العربي على مر الزمان بالشاهد النحوي على مختلف أنواعه، القرآني، والنبوي ، وأقوال العرب شعرا ونثرا، وكان هذا الشاهد سندهم الأول في إثبات صحة القواعد النحوية والصرفية، التي رصدوها في كتبهم، إلا أن الاختلاف كان واضحا بين النحاة في تفضيلهم لنوع الشاهد، القرآني والحديثي والشعري. فيقدمون شاهدا على شاهد، ويرعون في إيراد شواهدهم. وكما تعد هذه الأمثال وثيقة تاريخية عن الأدب الشفوي العربي لما تحتويه هذه الأمثال من دقة لفظ وحرصا على معنى وجمال سياق. وتمثل البنية النحوية للمثل العربي إحدى الأسس الثقافية والفكرية التي يمكن الاطمئنان إليها في توثيق قواعد النحو العربي لأنها: (تحتفظ بصيغتها الأصلية أكثر من أي نوع من أنواع الأساليب اللغوية، فلا يدخلها شيء من التغيير أو التحوير.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله المنعوت بجميل الصفات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا محمد ﷺ، أشرف الكائنات، وعلى أله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. وبعد:

حفلت كتب النحو العربي على مر الزمان بالشاهد النحوي على مختلف أنواعه، القرآني، والنبوي، وأقوال العرب شعرا ونثرا، وكان هذا الشاهد سندهم الأول في إثبات صحة القواعد النحوية والصرفية، التي رصدوها في كتبهم، إلا أن الاختلاف كان واضحا بين النحاة في تفضيلهم لنوع الشاهد، القرآني والحديثي والشعري. فيقدمون شاهدا على شاهد، ويرعون في إيراد شواهدهم.

ولعل مكانة العالم تسمو في معرفته بالشواهد واستخراجها من فصيح الكلام وحضورها الذهني عند الحاجة للاستشهاد بها، فالشاهد النحوي يمثل النحو لأهميته الكبيرة في هذا العلم. لاسيما أن المثل العربي يعد تعبيراً حقيقياً عن السليقة البدوية والبساطة اللغوية، التي انمازت بها البيئة العربية. وكما تعد هذه الأمثال وثيقة تاريخية عن الأدب الشفوي العربي لما تحتويه هذه الأمثال من دقة لفظ وحرصاً معنئ وجمال سياق.

وتمثل البنية النحوية للمثل العربي إحدى الأسس الثقافية والفكرية التي يمكن الاطمئنان إليها في توثيق قواعد النحو العربي لأنها: (تحتفظ بصيغتها الأصلية أكثر من أي نوع من أنواع الأساليب اللغوية، فلا يدخلها شيء من التغيير أو التحوير)^(١).

ولهذا نلمس في المثل العربي الحفاظ على شكله الأدبي ومضمونه اللغوي، على الرغم من قلة ما وصل إلينا منه قياساً بالشعر العربي، يقول الجاحظ: (ما تكلمت به العرب من جيد المنثور، أكثر ما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، وما ضاع من الموزون عشره)^(٢). فكان المثل العربي بكل ما يحتويه: (وثيقة تاريخية عن الأدب الشفوي عند العرب)^(٣).

(١) تاريخ اللغات السامية: ص ٢١٢.

(٢) البيان والتبيين: ج ١ ص ٢٨٧.

(٣) دراسات أدبية: ص ٦٩.

وجاء البحث على مبحثين ومقدمة وخاتمة، وكل مبحث في مطلبين، بينت في المبحث الأول: حياة الخوارزمي، ومفهوم الشواهد النحوية، وتكلمت في المبحث الثاني عن نهج الخوارزمي في التخمين، ونماذج من شواهد أمثال العرب.

وجاءت الخاتمة لتلخص أهم ما خرج به البحث من نتائج توصلت إليها. وختاماً أسأل الله العليّ القدير أن يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى والصلاح والرشاد والهدى وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجنبني الخطأ والزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث



المبحث الأول

حياة الخوارزمي ومفهوم الشواهد

المطلب الأول : حياة الخوارزمي (الشخصية والعلمية):

أولاً: اسمه ولقبه: القاسم بن الحسين بن محمد أو أحمد صدر الأفاضل الطرائفي الخوارزمي^(١)،
النحوي^(٢).

ثانياً: كنيته: (أبو محمد)، (أبو الفضل)^(٣).

ثالثاً: ولادته ووفاته: قال ياقوت الحموي سألته عن مولده فقال: مولدي في الليلة التاسعة من شعبان
سنة خمس وخمسين وخمسة مائة (٥٥٥ هـ)^(٤).

ووفاته: فكانت على يد التتار في أثناء هجومهم على إقليم خوارزم ومات رحمه الله شهيداً في الثاني
من ربيع الأول سنة سبع عشرة وستمائة (٦١٧ هـ)^(٥).

رابعاً: طلبه للعلم وصفاته: ذكر ياقوت الحموي أنه ولد في خوارزم فيبدو أنه تعلم فيها مبادئ
القراءة والكتابة، ثم سافر في طلب العلم إلى البلاد المجاورة^(٦).

والذي يبدو أن الخوارزمي لم يقيم برحلات علمية بعيدة نحو العراق مثلاً أو مصر أو دمشق، فقد
كانت رحلاته العلمية داخل خوارزم وما جاوره، ولا توجد أخبار على أنه رحل إلى البلدان العربية.

والظاهر أيضاً من سيرته أنه طلب العلم في بخاري وجخندة كما أخبر هو عن نفسه فقال: (مضيت
إلى بخاري طلباً للعلم)، كما ذكر أنه تتلمذ في بخاري على يد فخر الدين الرازي^(٧).

وقال ياقوت الحموي في وصفه: (صدر الأفاضل حقا وواحد الدهر في علم العربية صدقا، فهو
إنسان عين الزمان، مقدم أهل زمانه وخيرهم، له السمعة والشهرة.....) ثم وصف ياقوت ذكاءه-
فقال: (ذو الخاطر الوقاد والطبع النقاد والقريحة الحاذقة والنحيزة الصادقة)^(٨).

(١) ينظر معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٣٨. طبقات النحاة ص ٤٧٦. والاعلام، ج ٥ ص ١٧٥.

(٢) ينظر بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٥٢.

(٣) ينظر معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٥١. والاعلام ج ٥ ص ١٧٥. وكشف الظنون ج ٢ ص ١٧٧٥.

(٤) معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٥٠.

(٥) ينظر طبقات النحويين ص ٤٧٦. وكشف الظنون ج ١ ص ٢٣١.

(٦) ينظر معجم الأدباء: ج ١٦ ص ٢٥٠.

(٧) ينظر طبقات النحويين: ص ٣٤٥.

(٨) ينظر معجم الأدباء: ج ١٦ ص ٢٥١.

وكان الخوارزمي يتصف بحدة الطبع والنقد، والرد الشديد والمتعصب، ويتضح ذلك من خلال عباراته المتشددة مثل قوله: (وأما قول النحويين فشيء مضحك يضحك ثم يبكي من عقول النحويين)^(١)، ويقول: (وهذه علة مسترذلة ورذالتها ظاهرة)^(٢). وليست الصفات ببعيدة عن أهل خوارزم، يقول المقدسي عنهم: (إلا أن فيهم انغلاقاً ولا لهم ظرف ولا لباقة ولا لطافة)^(٣). فإذا علمت تلك الصفات بانتماء صفات الخوارزمي الحادة والسليطة على النحاة، مع أن تلك الحدة والشدة في الطبع لا تنقص من علمه وذكائه واطلاعه (رحمه الله).

خامساً: شيوخه وتلامذته: لم يشتهر من شيوخ الخوارزمي إلا بعضهم كالإمام ناصر الدين، وبرهان الدين، وأبي المكارم المطرزي الخوارزمي، ويبدو أن الخوارزمي تفقه على يد المطرزي واعتمد عليه في علمه وأخذ عنه العربية والنحو^(٤).

ومنهم فخر الدين الرازي، والأنطاطي، وأفضل الدين الغيلاني، والعارض السرخسي، ورضي الدين النيسابوري، وشيخ الإسلام الرستاني^(٥).

تلامذته: يقول محقق كتاب التخمير: (و ياقوت الحموي الذي يعد المصدر الأول في أخباره لم يذكر أحداً من تلاميذه... وبعد البحث عثرت على أسماء بعض الأشخاص التي يغلب على ظني أنهم من طلبته فهم على الأقل مستجازيه)^(٦).

ومنهم: (موفق الدين القرباني، والملخي، وأبو البركات المستوفي الأربلي، وابن الشعار الموصلية)^(٧).

سادساً: مذهبه النحوي: المطلع على مذاهب النحاة بعد القرن الرابع الهجري يجد أغلبهم تخلصوا من المذهبية وبنوا ثقافتهم على الإختيار من محاسن المذهبين البصري والكوفي.

(١) التخمير: ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) التخمير: ج ١ ص ٢٨١.

(٣) أحسن التقاسيم: ص ٢٢٧.

(٤) ينظر معجم الأدباء: ج ١٩ ص ٢١٢. وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٣٦٩. وسير أعلام النبلاء: ج ١٣ ص ١٢٣.

(٥) ينظر معجم الأدباء: ج ١٩ ص ٢١٢. وإنباه الرواة: ج ٣ ص ٣٣٩. وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٣٦٩. وسير أعلام النبلاء:

ج ١٣ ص ١٢٣.. بغية الوعاة: ج ٢ ص ٤٠.

(٦) التخمير: ج ١ ص ٢٢.

(٧) ينظر معجم الأدباء: ج ١٦ ص ٢٥١. وفيات الأعيان: ج ٤ ص ١٤٧. بغية الوعاة: ج ٢ ص ٢٧٢.



لقد عرض الخوارزمي كثيرا من مسائل الخلاف بين الفريقين، ولم أجد له منهجا واضحا في عرضه وترجيحه للمسائل، بل كانت له آراء خاصة ومستقلة، ولعل ميوله الأدبية والنقدية وسعة خياله، كونت عنده حرية الفكر وترك التقليد وولدت في نفسه محبة التجديد.

المطلب الثاني: (الاستشهاد مفهومه وأهميته ووظائفه) الشاهد لغته:

جاء في لسان العرب: قاطعٌ، لسانٌ، من قولهم: فلانٍ شاهدٌ حسنٌ أي بينٌ وتعبيرٌ حسنٌ، والشاهدُ مَنْ علمُ أمراً فيتذكرُ ما علمَ، أو يؤدي ما عندهُ من الشهادةِ، والشاهدُ مصدرُ الشهادةِ هي الخبرُ القاطعُ، ومن يعلمُ أمراً فيذكره، أو من يدلي به عندهُ من شهادةٍ^(١).

وفي القاموس: (الشاهدُ من السماءِ النبي (صلى الله عليه وسلم) واللسانُ والمَلِكُ، ويومُ الجمعة والنجمُ، وما يشهدُ على جودةِ الفرسِ من جريه)^(٢).

وجاء في تاج العروس: (الشهادةُ خبرٌ قاطعٌ، تقولُ منه شهدَ الرجلُ على كذا، والمشاهدةُ المعاينةُ، وشهدَ شهوداً أي حضره فهو شاهدٌ، وقومٌ شهودٌ أي حضورٌ، وأشهدني، إملأها يا حضري... وشهودٌ الناقيةُ آثارٌ موضعٌ منتجها من دمٍ أو سلي)^(٣).

وقال الدكتور يحيى جبر: (الحاضر المائل مطلقاً، أو خصوصاً أثناء وقوع الحادث أو نحوه فهو يقف على وقائعه كلها أو طائفة منها)^(٤).

والذي يبدو من هذه المعاني اللغوية للشاهد، أن خيطاً واحداً ينظم هذه التعريفات ويجمع بينها وهو كون الشاهد أثراً دالاً على حقيقة الشيء أو وجوده أو دليلاً على حدوث الشيء أو حصوله، وهذا الخيط يقودنا إلى تعريف الشاهد عند اللغويين والنحويين.

• اصطلاحاً:

قال الجرجاني: (عبارة عما كان حاضراً في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الواحد)^(٥).

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٢٣٩.

(٢) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٧٢.

(٣) تاج العروس ج ٢ ص ٤٩٤ ص ٤٩٥.

(٤) الشواهد اللغوية عبد الرؤوف ص ٢٥٦، مجلة النجاح، ج ٢ سنة ١٩٩٢.

(٥) التعريفات ص ٢٠٧.

قال السيد محمود الألوسي: (هو ما يذكر لإثبات قاعدة، كآية من التنزيل أو قول من أقوال العرب الموثوق بعريبتهم)^(١).

وقال الأفغاني: (هو لإثبات قاعدة أو استعمال حكمة أو تركيب ، بدليل نقلي صحيح سنده العربي الفصيح السليم)^(٢).

وعند النايلة هو: (حجة النحو في إثبات صحة القاعدة النحوية وتقريرها، أو تجويز ما جاء مخالفا للقياس، أو الرد المخالف وتفنيد رأيه وإظهار ضعف مذهبه النحوي أو عدم جوازه)^(٣).
وعدها الدكتور عبد المجيد أخبارا قاطعة: (هي أخبار قاطعة، موثقة يسوقها علماء اللغة بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة من شعر أو نثر)^(٤).

وكان تعريف والدكتور عبد الرؤوف أكثر تفصيلا فقال: (جملة من كلام العرب أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم، بمواصفات معينة تقوم على استخدام العرب لفظا لمعناه، أو نسقا في نظم أو كلام أو على وقوع شيء إذا اقترن بغيره أو على علاقة بين لفظ وآخر، أو معنى وغيره، وتقديم وتأخير، وانشقاق أو بناء، ونحو ذلك مما يصعب حصره، ومما هو محسوب في مناحي كلام العرب الفصحاء)^(٥).

• أهمية الشواهد النحوية:

للسااهد أهمية كبيرة في علم النحو، فهو جانب مهم من جوانبه، بل هو الأساس المتين الذي يقوم عليه هذا العلم، وقد كانت قيمة العالم تتجلى بمعرفته بالشواهد النحوية واستخراجها من الكلام العربي الفصيح واستحضارها عند الحاجة إليها.

وكان هذا شأن النحاة ، ونحاة البصرة على وجه الخصوص ، فقد كانوا يستكثرون منها ويحفظونها ويأتون بها ويستشهدون بها عند حاجتها ومناسبتها، وقد ذكر الأصمعي أنه قال: (سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابني بألف حجة)^(٦)، أي بألف شاهد مما يعني أنهم كانوا يولون الشواهد اهتماما

(١) إتحاف الأجداد وفيها يصح به الاستشهاد ص ٦٠.

(٢) أصول النحو لسعيد الأفغاني ص ٦٠.

(٣) الشواهد والاستشهاد في النحو ص ٢١.

(٤) الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص ٨٦.

(٥) الشاهد اللغوي ص ٢٦٥.

(٦) أنباه الرواة للقفطي ج ١ ص ٣٣٠.



كبيراً، وكان بينهم حفظة للكثير منها (كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري الذي انفرد بالنحو وشواهدة، والخليل الذي دفعه اهتمامه إلى تصنيف كتاب خاص بها)^(١).

وأهميته كبيرة - أيضاً - عند جميع العلماء على اختلاف مذاهبهم النحوية واتجاهاتهم الفكرية، وكلما كانت الشواهد وفيرة وكثيرة، ورواياتها صادقة صحيحة كان الظفر بفوز الرأي بالقبول لدى العلماء ورسوخ القاعدة وقبولها أكبر لأنها: (مدار العلم على الشاهد والمثال)^(٢). وإذا أخذنا كتاب سيبويه مثلاً على ذلك فإننا نجد جمع بين دفتيه شواهد كثيرة من القرآن الكريم ومن الشعر ومن النثر وبعض من أحاديث الرسول ﷺ.

ولقد غدا سوق الشواهد أثراً تقليدياً يمارسه المصنفون في كل ما له علاقة بالدرس النحوي واللغوي، وبعد الاحتجاج بالشاهد النحوي من أبكر صور الدراسات اللغوية، فكتب (معاني القرآن) جمعت المحاولات الأولى في تحليل الآيات تحليلاً لغوياً وذكر ما تعلق بها من شواهد^(٣).

كما لا يخفى على أحد من الدارسين فالشاهد القرآني من أكثر الشواهد تعزيزاً للقواعد النحوية عند علماء اللغة، وقد كتب كثير من العلماء والباحثين في هذا المجال، ولا داعي لتكرار ما قالوه أو كتبوه، فقد كان استشهادهم بالحديث النبوي الشريف والشعر العربي مكتملاً ومنتماً للاحتجاج.

وكما يعد توثيق الشاهد مؤشراً على دقة الكاتب وأحاطته بما ينقل، يقول العسكري: (ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً ويكسبه قبولاً ويجعل له قدراً في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعي هو يبعثها على حفظه ويأخذها باستعدادها لأوقات المذاكرة والاستظهار به أو إن المجادلة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلقات المقابلة)^(٤).

ولا يقف تأثير الشواهد عند هذا الحد، بل إنها في مجموعها تكون تراثاً حضارياً للأمة (وأنها تشكل قسماً مهماً من تراثنا اللغوي عامة وهي فضلاً عن ذلك تؤلف جزءاً مهماً من تراثنا الأدبي والحضاري)^(٥).

(١) ينظر الشواهد والاستشهاد في النحو ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣.

(٣) أهمية الشاهد النحوي في التفسير القرآني ص ٧.

(٤) جوهرة اللغة ج ١ ص ٤.

(٥) - المعجم المفصل ص ٥.

ولا يمكن التفريط فيه فضلا عن تجاهله؛ لأنه مرتبط بثقافة هذه الأمة (ارتباطا وثيقا منذ وقت مبكر من تاريخها وموروثها الثقافي والحضاري حتى غدا ثابتا من ثوابتها)^(١).

• الفرق بين الشاهد والمثال والقاعدة:

ذكر النحاة فرقا بين الشاهد والمثال والقاعدة ولكل منهم حد خاص به، والتفريق بينهم من الأمور المهمة؛ لأن الكثير من الدارسين يخلطون بينهم، مما قد يشكل على البعض التفريق فيما بينهم، (والفرق بينهما بالعموم والخصوص المطلق فإن كل ما يصلح شاهدا يصلح مثلا من غير عكس)^(٢).

أما المثال فهو (ما يذكر لإيضاح قاعدة نحوية وإيصالها إلى فهم المستفيد ولو بمثال جعلي)^(٣). واستشهاد النحويين يكون إما بدليل نقلي "السمع" أو بدليل عقلي وهو "القياس" والأول هو الأهم؛ لأن القواعد تؤخذ من واقع اللغة ومحاكاة لنطق أهلها، ويستدل على أهمية الشاهد النقلي في تثبيت القاعدة النحوية وتقريرها؛ لأن القياس غير كاف إذا لم يستند الشاهد البين. قال السيوطي: (أعلم أن الطريق إلى معرفة اللغة والنحو والتصريف.... يكون إما بالنقل المحض كأكثر اللغة أو العقل مع النقل... أما العقل المحض فلا مجال له في ذلك)^(٤).

نخلص بذلك إلى أن الشاهد جزئي يذكر لإثبات القاعدة والمثال جزئي يذكر لإيضاح القاعدة، ويمكن تعريف الجزئي (فرد من أفراد القاعدة مثال الفاعل مرفوع، فالقاعدة الفاعل مرفوع والشاهد الآية: (إذا جاء نصر الله)، والمثال: (جاء زيد))^(٥).

• وظيفة الشواهد النحوية:

أولاً: من الوظائف التي يؤديها الشاهد النحوي هو توثيق القاعدة النحوية، فقد اعتمد النحاة القدماء على استقراء الشواهد التي وصلتهم عن طريق السماع من العرب أو عن طريق الرواية عنهم، أو عن طريق آيات القرآن الكريم والحديث النبوي، وهو ما يفسر كثرة الأدلة التي ترد في كتبهم، فلا بد للنحوي من هذا المسلك، ليسوق شواهد على صحة ما يضع من قواعد إسناد أو توثيقا لها^(٦).

(١) منهج التعامل مع الشاهد البلاغي ص ٤٩٧.

(٢) إيضاح الأجداد فيما يصح به الاستشهاد ص ٦٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠.

(٤) الاقتراح ص ٢٠٧.

(٥) الشرح الواضح المنسق لنظم السلم المروتنق ص ١٤.

(٦) ينظر الشواهد النحوية في كتاب الغرة المخفية ص ١٩.



ثانياً: توضيح خلاف نحوي: يقوم النحوي بعرض مسائل الخلاف النحوي بين النحويين ، وما أكثرها في كتب النحاة وهي مودعة في كتبهم، ولما لهذه المسائل من دور في إثراء الدرس النحوي نتيجة لما تثيره هذه المسائل من نقاش ووجها تنظر مختلفة وآراء متشعبة ، كان النحاة يستعينون بالشاهد النحوي في استدلالهم على صحة أحد هذه الآراء.

ثالثاً: ترجيح قاعدة نحوية على قاعدة أخرى: يرجح النحاة أحياناً ما يرونه جديراً بالأخذ والصواب ويدعمون كلامهم بدليل وشاهد نحوي.

رابعاً: توجيه الشواهد النحوية: من المعروف أن الشواهد النحوية بأنواعها لا يؤتى بها دون توجيه، فلا يؤتى بها إلا للاستشهاد على قاعدة معينة ، فيبين النحوي القاعدة النحوية التي استعان بالشاهد من أجلها.

خامساً: الوقوف عند الدلالات والمفردات الصعبة: فيأتي الشاهد النحوي في بعض المواضع لتوضيح بعض المفردات الصعبة.

سادساً: استخدام الشاهد ليخدم غير فكرة واحدة: تكمن أهمية الشاهد في قوته لإثبات قاعدة نحوية صحيحة، ولكن قد يصبح هذا الشاهد ذا أهمية مزدوجة لاحتوائه على أكثر من قاعدة نحوية، فيصبح بالإمكان استخدامه لخدمة أكثر من فكرة أو قاعدة.

• أنواع الشواهد:

- ١ . الشواهد القرآنية المتواترة والشاذة.
- ٢ . الحديث النبوي الشريف.
- ٣ . الشعر العربي.
- ٤ . كلام العرب المنثور من أمثال وأقوال وخطب.

المبحث الثاني

منهجه ووصف الكتاب ونماذج من الأمثال

المطلب الأول: وصف الكتاب ومنهجه في الأمثال:

• وصف الكتاب:

ذكر الشارح في نهاية الكتاب اسم الكتاب وزمن تأليفه فقال الإمام صدر الأفاضل: (انتهى تخمير المفصل بيد منشئه القاسم بن الحسين الخوارزمي يوم الأحد السابع عشر من شعبان في سنة إحدى وستمائة هجرية)^(١).

والتاريخ الذي ذكره الخوارزمي لانتهاج الكتاب قريب من سنة وفاته (٦١٧ هـ)، مما يدل على أن كتاب التخمير من أواخر مؤلفاته، أي قبل وفاته بست سنين .

والتخمير: بناء مثناة فوقية، فحاء منقوطة، فياء مثناة تحتية فراء مهملة، إما من قولهم: خمره يخمره تخميراً، بمعنى: غطّاه، والتخمير التغطية، يقال: خمّر وجهه، وخمّر إناؤه؛ أي غطّاه. ورُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (خَمَّرُوا أَيْتَكُمْ) (٢) أي غطوه (٣).

قال محقق التخمير: (وإما أن يكون من قولهم؛ خامر الرجل بيته، أي لزمه فلم يبرحه، وإما أن يكون من قولهم: خمّر الرجل عجيتته، أي وضع فيها الخميرة، حتى تجود وإما أن يكون مأخوذاً من خمرة النبيذ والطيب، أي وجدت رائحته. هذه المعاني لمادة (خمرة)، هي التي يحتتمل أن يكون المؤلف لمخها عند التسمية أو لمخ أحدها)^(٤).

ورجح المحقق المعنى الأول فقال: (والذي يخيّل إلي أن المعنى الأول هو الأقرب إلى الاحتمال، وهو التغطية ويكون قصد المؤلف المعنى المجازي أي أنه غطى مباحث المفصل تغطية كاملة حتى لم يبق منه مبحث إلا وفاه حقه من الشرح والإيضاح والبيان)^(٥).

والذي يرجح المعنى الذي ذهب إليه محقق الكتاب؛ أن كتاب التخمير هو الشرح الثالث من شروح المفصل للخوارزمي، حيث ذكر في كتابه التخمير: (وأما حجة الكسائي في هذه المسألة فقد ذكرتها

(١) التخمير ج ٤ ص ٤٨٢ .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٨ .

(٣) تهذيب اللغة ج ٧ ص ١٦٢ . ولسان العرب ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٤) التخمير ج ١ ص ٦٣ .

(٥) التخمير ج ١ ص ٦٣ .



في كتابي الموسوم بـ (السبيكة)، في شرح المفصل وهي الشرح الأوسط وأما (المجمرة)، في شرحه أيضا^(١).
والظاهر أنه لم يقتنع في الأول والثاني للمفصل فشرحه للمرة الثالثة بعد أن تخمر في ذهنه وسماه التخخير.

• منهجه:

لا يختلف منهج الخوارزمي في تبويب المسائل النحوية عن منهج الزمخشري في ترتيب المفصل، قسم الأسماء، والأفعال، والحروف، وقسم مشترك، وسار الخوارزمي على هذا التنسيق ولم يعترض عليه، وذكر في المقدمة أنه حلق عليه قريبا من ثلاثين سنة وأنه شرحه شرحا آتيا على جميع ما أشكل فيه من لفظ ومعنى^(٢).

واستشهد الخوارزمي في شرحه بكثير من الآيات القرآنية، وأورد بعض القراءات القرآنية، وكذلك استشهد بالأحاديث النبوية التي بلغت (٤١) حديثا، وزاد عليها بأثار الصحابة، وأمثال العرب التي بلغت (٦٦) مثلا و(١٤٨) قولاً. وكثرة استشهاده وأمثال العرب تلفت النظر مما يدل على أنه يحفظ منها شيئا كثيرا، ويقوي ما ذهب إليه المستشرق (زلهام) من أن أبا محمد ألف كتابا في الأمثال. وكان نهج الخوارزمي في إيراد الأمثال: أنه الخوارزمي يورد الأمثال بقوله: وفي المثل، ومنه المثل، وفي أمثالهم، وكقولهم، وفي قولهم، ويذكر قصة المثل^(٣).

(١) التخخير ج ١ ص ١٣٣.

(٢) ينظر التخخير ج ١ ص ٧٣.

(٣) ينظر التخخير: ج ١ ص ١٤٣-١٤٨-٢٠٦-٢٤٨-٢٥٢، ج ٢ ص ٣٨-٥٧.

المطلب الثاني: (نماذج من احتجاجاته بالأمثال):

الأول: الممنوع من الصرف:

المثل: (دون عليان خرط القتاد)^(١).

وهذا المثل شطر بيت لأبي العلاء المعري:

إذا أنا غالبت القتود لرحلة فدون عليان القتادة والخرط^(٢)

قال البيهقي: (وعليان: اسم فحل من الأبل لكليب بن وائل، ولما عقر كليب ناقة جاره جساس قال جساس: لنقتلنَّ عليها فحلُّ أعظم من ناقتك، فبلغ ذلك كليباً فظن أنه يعني فحله الذي يسمى (عليان)، فقال: (دون عليان خرط القتاد)، فصار مثلاً، وعنى جساس بالفحل نفس كليب)^(٣).

قال الزمخشري: (وقد سموا ما يتخذونه ويألفونه من خيلهم وإبلهم وغنمهم وكلابهم وغير ذلك بأعلام كل واحد منها مختص بشخص بعينه يعرفونه به كالأعلام في الأناسي وذلك نحو أعوج ولاحق وشدقم وعليان وخطة وهيلة وضمران وكساب)^(٤).

قال الخوارزمي: (لاحق وأعوج من فحولة الخيل، وشدقم وعليان من فحولة الإبل، وعليان غير منصرف وفي المثل (دون عليان خرط القتاد))^(٥).

ثم ذكر الخوارزمي^(٦) مثلاً آخر: (قبح الله معزى خيرها خطة)^(٧).

قال الأصمعي: (كانت عنز سوء، وهيلة أيضاً عنز وهما أيضاً لا ينصرفان، وضمران كلب وكساب كلبه، الاول من الضمر، والثاني من الكسب)^(٨).

وعند البحث عن علة منع الصرف لكلمة عليان وجدت أن ابن جني ذكر أن كلمة عليان وقع فيها قلب لم يتوفر فيه شرط القلب عند الصرفيين، وهو قلبهم الواو ياء من غير استيفاء شروط هذا القلب، قال

(١) ينظر المستقصى: ج ٢ ص ٨٢. ومجمع الأقوال ص ٨٢.

(٢) ينظر التخمير: د ص ١٧٦.

(٣) المقاليد: ج ١ ص ٣٠.

(٤) المفصل: ج ١ ص ٢٠٢.

(٥) التخمير ج ١ ص ١٧٦.

(٦) ينظر التخمير ج ١ ص ١٧٦.

(٧) ينظر مجمع الأقوال ص ١٨١. وجهرة الامثال: ج ٢ ص ١٢٤.

(٨) ينظر الصحاح ج ٣ ص ١١٢٤.



ابن جنى: (ومن الاستحسان قولهم: صبية وقنية وعذي وبلي سفر، وناقاة عليان، ودبة مهيار، فهذا كله استحسان لا عن استحكام علة)^(١). فاشترط الصرفيون لقلب الواو ياءً هنا أن تكون الواو متطرفة حقيقة أو حكماً إثر كسرة، سواء أكانت في اسم كالداعي والغازي اسمي فاعل من الدعوة والغزوة، أم في فعل مبني للفاعل كرضي من الرضوان، وقوي من القوة، أو مبني للمفعول كدعي وعفي من الدعوة والعفو، وسواء أكان التطرف حقيقياً، حكماً كما في نحو شجيرة، وهي صفة مشبهة لمؤنث من الشجو، وهو الحزن. وقد شذ من ذلك نوعان: أحدهما: نوع صحح ولم تعل فيه الواو بقلبها ياء مع استيفاء شرطي الإعلال، كقولهم في جمع كلمة سواء -بفتح السين المهملة والمد بمعنى مستو: سواسوة، يقال: الناس سواسوة في هذا الأمر، أي: مستوون فيه، وقالوا أيضاً: سواسية على الأصل والقياس. والنوع الثاني الذي حكم عليه الصرفيون بالشذوذ نوع أعلت فيه الواو بقلبها ياء من غير أن تستوفي الشرط الثاني من شرطي هذا الإعلال. كالأثلة السابقة، وقد ذكر ابن جنى أن هذا المسموع عن العرب إنما حُوِّل فيه القياس؛ استحساناً لا عن استحكام علة فقال: (وذلك أنهم لم يعتدوا الساكن حائلاً بين الكسرة والواو لضعفه، وكله من الواو)^(٢).

ويعني ابن جنى أن العرب عدوا لام هذه الكلمات وهي الواو في حكم المتطرف لأنها وإن لم تكن طرفاً حقيقةً فهي طرف حكماً، إذ الحاجز بين الواو والكسرة حرف ساكن، والحرف الساكن حاجز غير حصين، فعدوه في حكم غير الموجود^(٣). فذكر: (وصيبة من صبوت، وعلية من علوت، وعذي من قولهم: أرضون عدوات، وبلي سفر من قولهم في معناه: بلو أيضاً، ومنه البلوى، وإن لم يكن فيها دليل، إلا أن الواو مطردة في هذا الأصل)^(٤)، وناقاة عليان من علوت أيضاً. ومن واوي اللام أيضاً علية من نحو قولهم: فلان من علية القوم، أي: عالي القدر، رفيع المنزلة، ومن ذلك قولهم: ناقاة عليان، أي: ضخمة طويلة جسيمة، وأصله: علوان؛ لأنه أيضاً من علوت. فعلة منع الصرف تجاوزت العلة التي ذكرها الخوارزمي.

الثاني: ليت إجراؤها مجرى فعل التمني:

المثل: (ليت القسي كلها أرجلا)^(٥).

(١) الخصائص ج ١ ص ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٩.

(٣) ينظر أصول النحو ٢ ص ٢٢٠.

(٤) الخصائص ج ١ ص ١٣٩.

(٥) مجمع الأمثال: ج ٢ ص ١٨٧.

أورد الزمخشري في الأنصاف صدر بيت للعجاج:

يا ليت أيام الصبا رواجعا....^(١)

ذكر النحاة من البصريين والكوفيين أن (ليت) يكون اسمها منصوبا وخبرها واختلفوا في البيت المذكور فالبصريون يقدرّون خبرا محذوفا، والتقدير: يا ليت أيام الصّبا رواجعا لنا. وذهب الكسائي إلى أنه على تقدير (كان) لكثرة استعمالها معا كقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾^(٣). وذهب الفراء من الكوفيين إلى قول غير القولين السابقين وهو جواز نصب الاسمين بعد (ليت) وأجروها مجرى الفعل (تمنيت)^(٤). وذهب الخوارزمي إلى ما ذهب إليه الفراء ولم يكتف بذكر ما ذهب إليه بل ذكر علة قوله هذا فقال الخوارزمي: (هذا البيت مختلف فيه بين البصرية والكوفية، فالبصرية تقول: خبر ليت محذوف، ورواجعا منصوب على الحال، والكوفية هذا البيت على لغة بني تميم، يعملون ليت إعمال ظن فيقولون: ليت زيدا شاخصا، كما يقال ظننت زيدا شاخصا، وعليه المثل (ليت القسي كلّها أرجلا)، أرجل إذا وترت أعاليها وأيديها أسافلها، وأرجلها أشد من أيديها وأنشد^(٥) :
ليت القسي كلّها من رجل..

يضرب للتمني محالا كأنهم يجرون ليت مجرى فعل التمني، وعند ذلك لا حاجة إلى الخبر، وإن سألت كيف أجريت هذه الكلمة من بين سائر أخواتها مجرى الفعل على لغة تميم؟ أجبت: لأنها أشبه أخواتها بالفعل، ولذلك لا تفارقها نون العماد^(٦).

قال ابن يعيش: (أي يا ليت لنا. ومنه قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لقرشي مت إليه بقرابة: فإن ذاك، ثم ذكر حاجته، فقال: لعل ذاك "أي: فإن ذاك مصدقٌ.... واعلم أن أخبارَ هذه الحروف إذا كانت ظرفًا أو جارًا ومجرورًا، فإنّه قد يجوز حذفها، والسكوت على أسمائها دونها، وذلك لكثرة استعمالها والاتساع فيه، ودلالة قرائن الأحوال عليها. وذلك قولهم: "إنّ مالا"، و "إنّ ولدًا"، و "إنّ عددًا" كأنّ ذلك وقع في

(١) ينظر الكتاب: ج ١ ص ٢٨٤. والمغني: ج ٥ ص ١٦٤.

(٢) سورة النبأ آية ٤٠.

(٣) سورة الحاقة آية ٢٧.

(٤) ينظر اللمحة ج ٢ ص ٥٤١. ومغني اللبيب ج ١ ص ٣٧٦.

(٥) عجز البيت: يدل على محصلة تبيت: وهو لعمر المرادي. ينظر النكت للأعلم ص ٢٥٥. والخصائص: ج ١ ص ٣٤٦.

(٦) التخمير: ج ١ ص ٢٨٨.



جواب "هل لهم مال؟"، و "هل ولدٌ"، و "هل عددٌ؟"، ف قيل في جوابه: "إنَّ مالا، وإنَّ ولداً وإنَّ عدداً"، أي: إن لهم مالا، وإن لهم ولداً، وإن لهم عدداً، ولم يُتَّجَّح إلى إظهاره لتقدُّم السؤال عنه. ولم يأتِ ذلك إلا فيما كان الخبرُ ظرفاً أو جاراً ومجروراً^(١).

الثالث: إضمار أفعال المصدر المنصوب:

المثل: (مواعيدٌ ومواعيدٌ عرقوب)^(٢).

جاء في العين: (وعرْقُوبٌ: رجلٌ من أهل يَثْرِبِ أكْذَبُ أهل زمانه موعداً، فَذَهَبَتْ مثلاً، قال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا

ومواعيدها إلا الأباطيل)^(٣)

وأُشْدُّ الشَّاعِرِ الْأَشْجَعِيِّ:

وَعَدَتْ فَكَانَ الْخَلْفَ مِنْكَ سِجِيَّةً

مواعيد عرقوب أخاهُ يترب^(٤)

قال السيرافي عن كلام سيويه في المنصوبات: (الشاهد في نصب (مواعيد) بإضمار فعل. وقولهم:

مواعيد عرقوب، هو مثل مقول قبل أن ينظمه الشماخ. وشاهد سيويه في أنهم نصبوه في المثل)^(٥).

قال الزمخشري: (والمصادر المنصوبة بأفعال مضمرة على ثلاثة أنواع: ما يستعمل إظهار فعله

وإضماره، وما لا يستعمل إظهاره فعله، وما لا فعل له أصلاً، وثلاثتها تكون دعاءً وغير دعاء، فالنوع الأول

كقولك للقادم من سفره خير مقدم)^(٦).

وقال الخوارزمي في هذه المسألة: (كما يجوز النصب في خير مقدم، يجوز فيه الرفع أيضاً والمعنى:

مقدمك خيرٌ مقدمٍ... يجوز أيضاً أن يقال: قدمت خيرَ مقدمٍ، كما يجوز أن يقال: مواعيدٌ عرقوبٍ، جاز أن

يقال: وعدت مواعيدَ عرقوب)^(٧).

(١) شرح المفصل لابن يعيش: ج ١ ص ٢٥٩.

(٢) الكتاب: ج ١ ص ٢٧٢. والأمثال لابن سلام ص ٨٧. وجمهرة الأمثال: ج ٢ ص ٤٣٣. والخصائص: ج ٢ ص ٢٠٩.

(٣) العين: ج ٢ ص ٢٩٦. ولسان العرب: ج ١ ص ٢٣١.

(٤) درة الغواص في أوهام الخواص ص ٧٩. وينظر المزهري: ج ١ ص ٣٨٣.

(٥) شرح أبيات سيويه: ج ٢ ص ٢٢٥.

(٦) المفصل في صنعة الاعراب: ص ٥٦.

(٧) التخمير: ج ١ ص ٢٩٩.

وذكر ابن يعيش: (أن المصدر ينتصب بالفعل، وهو أحد المفعولات. وقد يُحذف فعله لدليل الحال عليه. وهو في قولك على ثلاثة أضرب: منها ضربٌ يُحذف فعله ويجوز ظهوره، فأنت فيه بالخيار، إن شئت أظهرته وإن شئت أضمرته. وضربٌ لا يجوز استعمال فعله، ولا إظهاره. وضربٌ ليس له فعلٌ ألبته. فالضرب الأول، نحو قولك لمن لقيته وعليه وَعَثَاء السَّفَر، ومعه أَلْتُهُ، فعلمت أنه آتٍ من سفره، فقلت: "خيرٌ مَقْدَم"، أي: قدمت خير مقدم، فـ "خيرٌ" منصوبٌ على المصدر لأنه أَفْعَلٌ، وإنما حُذفت ألفه تخفيفاً، و"أفعل" بعضٌ ما يضاف إليه، فلما أضفته إلى مصدر صار مصدرًا، ومن ذلك إذا رأيت رجلاً يَعدُّ ولا يَفي قلت: "مواعيدٌ عُرُقُوب"، أي: وعدتني مواعيد عرقوب، فهو مصدرٌ منصوبٌ بـ "وَعَدْتَنِي"، ولكنه تُرك لفظه استغناء عنه بما فيه من ذكر الخُلف، واكتفاء بعلم المخاطب بالمراد^(١).

والذي يظهر لي أن تقدير الرفع في (مواعيد) على أنه خبر لمبتدأ محذوف أولى وأقرب للصواب، ومن العرب من يرفع هذا كله، فيقول للقادم من سَفَره: "خيرٌ مَقْدَم"، أي: قدومك خير مقدم، فيكون "خيرٌ مقدم" خبرَ مبتدأ محذوف، وكذلك "مواعيد عرقوب" أي: عِدَاتُكَ مواعيد عرقوب^(٢).

الرابع: التحذير: إضمار العامل للابتداز:

المثل: (وكل شيء ولا شتيمة حر)

قال سيبويه: (فإذا رفعت فالذي في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت. ومما ينتصب في هذا الباب على إضمار الفعل المتروك إظهاره: "انتهوا خيرا لكم"، و "وراءك أوسع لك"، و "حسبك خيراً لك"، إذا كنت تأمر. وإنما نصبت خيراً لك وأوسع لك، لأنك حين قلت: "انته" فأنت تريد أن تُخرجه من أمرٍ وتُدخله في آخر. وقال الخليل: كأنك تحملهُ على ذلك المعنى، كأنك قلت: انتهِ وادخل فيما هو خيرٌ لك، فنصبته لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: انتهِ، أنك تحملهُ على أمرٍ آخر، فلذلك انتصب، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام، ولعلم المخاطب أنه محمولٌ على أمر^(٣).

وقال الزمخشري: (ومن المنصوب باللازم إضماره قولك في التحذير إياك والأسد، أي اتق نفسك أن تتعرض للأسد أن يهلكك. ونحوه رأسك والحائط، وماز رأسك والسيف. ويقال إياي والشر، وأهلك والليل، أي بادرهم قبل الليل. ومنه عذيرك أي أحضر عذرك أو عاذرك. ومنه هذا ولا زعماتك. وقولهم كليهما وتمراً أي اعطني وكل شيء ولا شتيمة حر أي إئت كل شيء ولا ترتكب شتيمة حر. ومنه قولهم انتهِ

(١) شرح المفصل: ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) ينظر شرح المفصل ج ١ ص ٢٧٩.

(٣) الكتاب: ج ١ ص ٢٨٤ ٢٨٥.



أمراً قاصداً لأنه لما قال الله علم أنه محمول على أمر يخالف المنهي عنه قال الله تعالى: " انتهىوا خيراً لكم " ويقولون حسبك خيراً لك، ومنه قولهم كالיום رجلاً بإضمار لم أر. قال أوس: حتى إذا الكلاب قال لها ... كالיום مطلوباً ولا طلباً(١).

قال الخوارزمي: (لزم إضمار العامل ها هنا للابتدار إلى النهي، ومنهم من يرفع الأول وينصب الثاني كأنه قال: إيت كل شيء أمم ولا تشتم حراً... والمعنى أمراً قاصداً وكذلك: إيت خيراً(٢) وذكر أيضاً الخوارزمي أنه قد يلزم إضمار العامل للابتدار إلى الأمر، وإلى الدعاء ومن الدعاء، قال الزمخشري: (مرحبا وأهلا وسهلا أي أصبت رحبا، ولا ضيفا وأتيت أهلا، لا أجنب، ووطئت سهلا من البلاد، لا حزنا(٣).

قال الخوارزمي: (لزم إضمار العامل ها هنا لما فيه من الابتدار إلى الدعاء(٤). قال ابن يعيش عن هذه المسألة: (وقالوا في مثل: "كل شيء ولا شتيمة حر"، ويروى بنصبها جميعاً، ويرفع الأول ونصب الثاني. فمن نصبهما فيضمار فعلين، كأنه قال: "إيت كل شيء، ولا ترتكب شتيمة حر". ومن رفع الأول فبالابتداء، كأنه قال: "كل شيء أمم، ولا تشتمن حراً"، أي: كل شيء محتمل، ولا تشتمن حراً، ومثله "كل شيء ولا هذا"، أي: إيت كل شيء ولا هذا. ولم تظهر الأفعال في هذه الأشياء كلها لأنها أمثال(٥).

الخامس: مجيء اسم (لا) النافية للجنس معرفة:

لا النافية للجنس لعملها شروط ذكرها النحاة في كتبهم، أولها: أن يكون اسمها نكرة، ولا تعمل في المعرفة، وإن جاءت معرفة فهي في حكم النكرة(٦).

وقد ذكر الخوارزمي علة ذلك على أنه متى ما اشتهر الاسم العلم بمعنى من المعاني ينزل تنزيل الجنس الدال على ذلك المعنى وهذا وارد في كلام العرب . ومنه المثل المشهور: (ما ترى يا أبراهيم، ولا أبراهيم اليوم).

(١) المفصل في صنعة الأعراب: ص ٧٣.

(٢) التخمير: ج ١ ص ٣٨٠.

(٣) المفصل في صنعة الأعراب: ص ٧٥.

(٤) التخمير: ج ١ ص ٣٨٢.

(٥) شرح المفصل: ج ١ ص ٣٩٤.

(٦) شرح الألفية لابن مالك: ج ٢ ص ٢١ . وشرح الألفية لابن طولون: ج ١ ص ٢٦٩.

قال سيبويه: (واعلم أن كل شيء حسن لك أن تُعمل فيه (ربّ) حُسن لك أن تعمل فيه (لا))^(١). ثم ذكر سيبويه ما جاءت منها أمثلة معرفة فقال: (وتقول: قضية ولا أبا حسن، تجعله نكرة. قلت: فكيف يكون هذا وإنما أراد علياً رضي الله عنه فقال: لأنه لا يجوز لك أن تعمل لا في معرفة، وإنما تعملها في النكرة فإذا جعلت أبا حسن نكرة حسن لك أن تعمل لا، وعلم المخاطب أنه قد دخل في هؤلاء المنكورين عليّ، وأنه قد غُيب عنها. فإن قلت: إنه لم يُرد أن ينفي كل من اسمه على؟ فإنما أراد أن ينفي منكورين كلهم في قضيته مثل علي كأنه قال: لا أمثال على لهذه القضية، ودل هذا الكلام على أنه ليس لها على، وأنه قد غيب عنها)^(٢).

وذكر الخوارزمي أن (لا) لا تدخل إلا على النكرة لأنها لنفي الشمول ولا يتحقق ذلك إلا إذا دخلت على النكرة، وإذا دخلت على المعرفة كالبيت الذي ذكره سيبويه في كتابه: (لا هيثم الليلة للمطي). فأوله الخوارزمي في وجهين:

أوله: أن معناه: لا مثل هيثم، ومثل وإن أضيف إلى المعرفة فإنه نكرة، وهذا الرأي عليه أغلب النحويين^(٣).

الثاني: وهو الوجه الذي رجحه الخوارزمي فقال: (وهو أن العلم متى ما اشتهر بمعنى من المعاني ينزل تنزيل الجنس الدال على ذلك المعنى، كما في قولهم: لكل فرعون موسى، ونحوه قولهم: ما ترى يا أبراهيم ولا أبراهيم اليوم: يعني أرى أبراهيم بن الأشر، فإن سألت: فأين العامل في الظرف؟ أجبت: ما دل عليه الظرف، فإن سألت: هل يجوز أن يكون العامل لا هيثم لتضمنه معنى الفعل؟ أجبت: لا يجوز لتضمنه معنى (من) الاستغراقية^(٤)).

السادس: الابتداء بالنكرة:

المثل: (شر أهر ذاناب).

الأصل الذي أقره النحاة أن يكون المبتدأ معرفة، ولا يجوز الابتداء بالنكرة إلا لمسوغات ذكرها النحاة في كتبهم^(٥).

(١) الكتاب: ج ٢ ص ٢٩٧.

(٢) الكتاب: ج ٢ ص ٢٩٧.

(٣) ينظر الكتاب: ج ١ ص ٣٥٤. والمقتضب: ج ٤ ص ٣٦٢. والتخمير: ج ١ ص ٥٠٣. وشرح المفصل لابن يعيش: ج ٢ ص ١٠٢.

(٤) التخمير: ج ١ ص ٥٠٥.

(٥) ينظر الكتاب: ج ١ ص ٣٢٩.



قال الزمخشري: (والمبتدأ على نوعين معرفة وهو القياس، ونكرة إما موصوفة كالتي في قوله عز وجل: "ولعبد مؤمن" وإما غير موصوفة كالتي في قولهم... وشر أهر ذا ناب)^(١).

وكان تعليل الخوارزمي للمثل على أنه: جاء شر نكرة وهو في حكم الموصوف فكأنه قدر صفة للنكرة: شر عظيم أو غريب، فجاز الابتداء بالنكرة هنا على تقدير النفي: ما أهر، فلم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مراداً، أي هناك نفي مقدر^(٢). ثم قال بعد ذلك: (فهو إن كان مبتدأ من حيث الظاهر فهو فاعل من حيث المعنى، إذا المعنى: ما أهر ذا ناب إلا شر، وهذا كقولهم: أمر أفعده عن الخروج)^(٣).

والذي يظهر لي أن العلة التي ذكرها ابن يعيش في في جواز الابتداء بالنكرة والتي قال بها أغلب النحاة هي الأقرب للصواب؛ وهي تقدير الصفة وإن كانت العلتين تحتمل وفيها وجه للصواب لكن علة ابن يعيش الأقرب للصواب فذكر: ("شر أهر ذا ناب". فالابتداء بالنكرة فيه حسنٌ، لأنَّ معناه "ما أهرّ ذا نابٍ إلا شرٌّ"، فالابتداء ههنا محمولٌ على معنى الفاعل، وجرى مثلاً، فاحتمل. والأمثال تُحتمل ولا تُغيّر. ومعنى "شرٌّ أهرّ ذا ناب" أنهم سمعوا هريراً كلب في وقتٍ لا يهرُّ مثله فيه إلا لسوء ظن. ولم يكن غرضهم الإخبار عن شرِّ، وإنما يريدون الكلب أهرَّه شرٌّ. وإنما كان محمولاً على معنى النفي، لأنَّ الإخبار به أقوى، لأنَّه أوكد؛ ألا ترى أنَّ قولك: "ما قام إلا زيدٌ" أوكدٌ من قولك: "قام زيدٌ". إنما احتيج إلى التوكيد في هذه المواضع، من حيث كان أمراً مُهمّاً)^(٤).

وهكذا نالت أمثال العرب جانبا مهما من الاحتجاج النحوي عند الخوارزمي، حتى أن كثرة إحتجاجاته لفتت أنظار المؤلفين والدارسين ك(زلهام)، الذي وصف شرح الخوارزمي للمفصل كتابا في الأمثال بالإضافة إلى شرحه للمفصل، مع أن استشهاد الخوارزمي بأمثال العرب وأقوالهم شيء مألوف سبقه إليه النحويون، ولم يخالفهم في شيء من ذلك.

(١) المفصل في صنعة الأعراب: ج ١ ص ٤٣.

(٢) ينظر الاختصاص: ج ١ ص ٣٢٢. واللباب: ج ١ ص ١٣١. التخمير: ج ١ ص ٢٥٩.

(٣) التخمير: ج ١ ص ٢٥٩.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ج ص ٢٢٥.

الخاتمة والنتائج:

١. يعد كتاب التخمير في شرح المفصل للخوارزمي من أروع وأفضل شروحات المفصل للزمخشري، وتكفي نظرة واحدة للكاتبين للوصول إلى هذه النتيجة.
٢. شرح الخوارزمي المفصل ثلاث مرات وهو السبب والمجمره وأخرها التخمير واكتشفت ذلك في أثناء قراءتي لكتاب التخمير.
٣. أهتم الخوارزمي كثيرا بأمثال العرب شرحا وتحليلا واستشهادا وذكر السبب في ورود المثل والقصة.
٤. يمتاز أسلوب الخوارزمي بالاستطراد والإسهاب والشرح المفصل والدقيق.
٥. لم يظهر له انتهاء لمذهب نحوي، فكان كثيرا ما ينفرد بآرائه ومخالفاته.
٦. على الرغم من كثرة إنفرادات الخوارزمي ومخالفته للعلماء إلا أنه التزم بالاحتجاج بما جاء به النحاة.
٧. أسلوب الخوارزمي التهجمي وطباعه الحادة كانت واضحة جلية في تعامله مع أقوال العلماء التي يخالفها حتى يصل بعضها إلى السخرية والاستهزاء.
٨. شواهد الأمثال العربية تعد مصدرا رئيسا من مصادر الشواهد النحوية العربية تضاف إلى ثروة وحضارة الأمة.
٩. وأخيرا لم يشتهر الخوارزمي وكتبه في الأوساط لو لا لقاءه بياقوت الحموي الذي سرد سيرته وحياته ونتاجه العلم.



ثبت المصادر:

١. أصول النحو: مناهج جامعة المدينة العالمية، ماجستير.
٢. اللمحة في شرح الملحة: ابن الصائغ (ت ٧٢٠ هـ). تحقيق: إبراهيم الصاعدي. الجامعة الإسلامية-السعودية. ٢٠٠٤ م.
٣. إتحاف الأجداد فيما يصح به الاستشهاد. للسيد محمود الألوسي. تحقيق: عدنان الدوري. الإرشاد-بغداد. ١٩٨٢ م.
٤. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: المقدسي البشاري، دار صادر، بيروت ط ٣ ١٩٩١ م.
٥. الاستشهاد والاحتجاج. محمد عيد. عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٨ م.
٦. الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت-لبنان ط ١ (٢٠٠٢ م).
٧. الاقتراح في علم أصول النحو. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، قرأه وعلق عليه: د. محمود سليمان ياقوت. دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦.
٨. الأمثال: ابن سلامّ البغدادي (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش
٩. إنباء الرواة على أنباء النحاة. جمال الدين القفطي (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي-القاهرة ط ١٩٩٨ م.
١٠. أهمية الشاهد النحوي د. لخضر رويحي. مجلة الآداب، جامعة قاصدي مرباح - الجزائر. العدد ٢ ٢٠٠٧ م.
١١. أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم: د. لخضر المسيلة. مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد ٦ ٢٠٠٧ م.
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. الحافظ السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، العلمية بيروت- ط ١ (٢٠٠٤ م).
١٣. البيان والتبيين. الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، دار الهلال- بيروت (١٤٢٣ هـ).
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ). تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار التراث العربي-الكويت ١٩٦٥ م.
١٥. تاريخ اللغات السامية: د. ولفنسون، مصر، ١٩٢٩ م.
١٦. التعريفات: علي بن الجرجاني (٨١٦ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ١٩٨٩ م.

١٧. تهذيب اللغة : الازهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، ط ١ (١٩٦٤م).
١٨. جمهرة الأمثال. أبي الهلال العسكري. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط ٢ ١٩٨٨.
١٩. جمهرة اللغة: ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١ ١٩٨٧م.
٢٠. الخصائص : ابن جنبي ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢م
٢١. دراسات أدبية في الخطب والأمثال الجاهلية: د. سليمان محمد سليمان، دار الوفاء-مصر ٢٠٠٤م.
٢٢. درة الغواص في أوهام الخواص: ابو محمد الحريري البصري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١ ١٩٨٨م.
٢٣. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الحديث - القاهرة، ط ٢ ٢٠٠٦م.
٢٤. شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك: ابن طولون(٩٥٣هـ). تحقيق: عبد الحميد الكبيسي، العلمية- بيروت ط ١ ٢٠٠٢م.
٢٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: المؤلف: ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، التراث - القاهرة، ط ٢٠ ١٩٨٠م.
٢٦. شرح أبيات سيبويه: السيرافي (ت ٣٨٥هـ) تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، دار الفكر، مصر ١٩٧٤م
٢٧. شرح المفصل في صنعة الأعراب الموسوم بالتخمير: الخوارزمي(٦١٧هـ). تحقيق: عبدالرحمن العثيمين. العبيكان-الرياض ط ١ ٢٠٠٠م.
٢٨. شرح المفصل: ابن يعيش. تحقيق: د. إميل يعقوب. العلمية-لبنان. ط ١ ٢٠٠١م.
٢٩. الشرح الواضح المنسق لنظم السلم المروتنق. د. عبد الملك السعدي. دار الأنبار، بغداد- العراق، ١٩٩٦م.
٣٠. الشواهد اللغوية. يحيى عبد الرؤوف جبر. مجلة النجاح للأبحاث. المجلد ٢، العدد ٦ ١٩٩٢م.
٣١. الشواهد النحوية في كتاب الغرّة المخفية في شرح الدرّة الألفية لأبي العباس بن الخباز(ت ٦٣٩هـ). عباس عبد مصلح ٢٠٠٨م.



٣٢. الشواهد والاستشهاد في النحو. عبد الجبار علوان النائلة. الزهراء-بغداد، ١٩٧٦م.
٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، العلم للملايين-بيروت، ط ٤ ١٩٨٧م.
٣٤. طبقات النحاة: ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، المكتبة الظاهرية.
٣٥. طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ القاهرة. ١٩٥٤م.
٣٦. العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٥م.
٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد، وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد، وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
٣٩. في أصول النحو. تأليف: سعيد الأفغاني. دار الفكر، دمشق، ط ٣ ١٩٦٤م.
٤٠. القاموس المحيط. الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة-بيروت ط ٢٠٠٥م.
٤١. الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه)، (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٤٢. كشف الظنون عن أسامي الفنون: مصطفى حاجي خليفة، إحياء التراث-بيروت.
٤٣. اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء (ت ٦١٦هـ). تحقيق: د. عبد الإله النبهان. دار الفكر - دمشق ط ١٩٩٥م.
٤٤. لسان العرب: تأليف: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر-بيروت ١٤١٤هـ.
٤٥. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، العلمية - بيروت، ط ١٩٩٨م.
٤٦. المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، العلمية - بيروت ط ٢ ١٩٨٧م. معجم الأدباء:
٤٧. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ ١٩٩٣م.

٤٨. المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. د. أميل بديع يعقوب. العلمية-بيروت ١٩٩٦م.
٤٩. مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي عبد الله، دار الفكر بيروت ط ١٩٨٥ م.
٥٠. المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت ط ١٩٩٣ م.
٥١. المقتضب: المبرد. تحقيق: د. عبد الخالق عزيمة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-مصر. ١٩٩٤ م.
٥٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس دار صادر - بيروت.